

AL-HIKMAH

Jilid	9	ISSN 1985-6822	2017
No.	2		1439

- CABARAN BAGI GOLONGAN OKU PENGLIHATAN DALAM MELAKSANAKAN IBADAH SOLAT...3-15
Nurul Asmak Liana Bakar
- HIDUP BERKELUARGA MELALUI DIDIKAN AMALAN Q-ROHANI (AFEKTIF): SATU PENDEKATAN FUZZY DELPHI...16-31
Zaharah Hussin, Ahmad Arifin Sapar, Saedah Siraj, Mohd Ridhuan Mohd Jamil, Abdul Muqsinh Ahmad, Nurulrabihah Mat Noh
- TAUBAT PENAGIH DAN PENERIMAAN KOMUNITI: KAJIAN KES DI BAITUL CAKNA TERENGGANU ...32-40
Ahmad Tarmizi Yusof, Mohd Safri Ali, Wan Hishamudin Wan Jusoh, Berhanundin Abdullah, Abdul Wahab Ali
- KEPENTINGAN KEROHANIAN DALAM MENANGANI PESAKIT KANSER WANITA MENURUT ISLAM ...41-56
Nora Ahmad @ Aziz, A'dawiyah Ismail, Salasiah Hanim Hamjah
- CIRI-CIRI GPI PROFESIONAL BERASASKAN RIADHAH RUHIYYAH MENURUT PANDANGAN AL-GHAZALI: ANALISIS KANDUNGAN BAB ADAB TERHADAP GURU DALAM KITAB IHYA ULUM AL-DIN ...57-77
Habibah @ Artini Ramlie, Zaharah Hussin
- ISU-ISU DAKWAH DALAM TAFSIR AL-QUR'AN AL-KARIM ...78-86
Nadzrah Ahmad, Sohirin M Solihin, Ahmad Nabil Amir
- TAZKIYAT AL-NAFS DALAM KERANGKA MAQASID AL-SHARI'AH ...87-98
Abu Dardaa Mohamad, Salasiah Hanin Hamjah, Ahmad Irdha Mokhtar, Mohamad Zulkifli Abd Ghani
- PEMELIHARAAN HARTA: ANALISIS MENURUT DIWAN IMAM SHAF'I ...99-112
Khazri Osman, Ahmad Irdha Mokhtar, Mohamad Zulkifli Abdul Ghani, Najihah Abd. Wahid
- IDENTIFIKASI IDENTITI BISEKSUAL DAN HUBUNGANNYA DENGAN ASPEK SOKONGAN SOSIAL DAN KESIHATAN MENTAL DALAM KALANGAN INDIVIDU BISEKSUAL DI MELAKA... 113-130
Suhaya Deraman, Salasiah Hanin Hamjah, Ahmad Irdha Mokhtar, Anis Nor Amelia Nor Asikin & Izzah Nur Aida Zur Raffar
- PENERAPAN FIQH AWLAWIYYAT DALAM DAKWAH KEPADA SAUDARA BARU... 131-140
Mohamad Zulkifli Abdul Ghani, Khazri Osman, Ahmad Irdha Mokhtar, Anuar Puteh, Abdul Ghafar Don
- TEORI KEPIMPINAN DARI PERSPEKTIF ISLAM DAN BARAT DALAM TERMA KEPIMPINAN TRANSFORMASI... 141-153
Nor Anisah Abu Hanipah, Razaleigh Muhamat@Kawangit
- PERSEPSI KHATIB TERHADAP SENI RETORIK DALAM TEKS KHUTBAH JUMAAT JAWI... 154-166
Mohd Azizon Noordin, Zulkefli Haji Aini
- PERLAKSANAAN HISBAH DI MALAYSIA PADA MASA KINI: PERKEMBANGAN DAN HALANGAN... 167-185
Muhammad Syahir Abu Bakar, Wan Fariza Wan Alyati Wan Zakaria, Kamaruddin Salleh
- رَحِمَتُ اللَّهِ الْهِنْدِي الْكِرَانُوِي وَكِتَابُهُ إِظْهَارُ الْحَقِّ: النِّقْدُ الْإِسْلَامِي لِلْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ ... 204-186

عبد الكبير حسين صالح

رحمت الله الهندي الكيرانوي وكتابه إظهار الحق: النقد الإسلامي للعهد القديم والجديد

عبد الكبير حسين صالح

Rahmat Allāh al-Hindi al-Kayrānawī and His Book Manifestation of The Right: Islamic Criticism of the Old and New Testaments
Rahmat Allāh al-Hindi al-Kayrānawī dan Bukunya Penjelasan Kebenaran: Kritik Islam bagi Perjanjian Lama dan Baru

ABDUL KABIR HUSSAIN SOLIHU

الملخص

انتشر في القرن التاسع عشر الميلادي في أرجاء الهند حملة التبشير النصراني، حين قام المنصرون بمواجهة المسلمين في الهند والطنين في عقيدتهم. تأتي هذه الحملات التبشيرية إثر القضاء على الدولة المغولية الإسلامية. الدولة التي دامت أكثر من ثلاثة قرون. على يد الاستعمار الإنجليزي في القرن التاسع عشر الميلادي. قام علماء أجلاء في الهند لصده هذه الهجمات، وأكثرهم شهرة وتأثيراً هو الشيخ محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني، المشهور بـ "رحمت الله الهندي"، فناظر جهابذة المنصرين جهاراً وألف عدة كتب في رد أباطيلهم. وكتابه "إظهار الحق" يعتبر خلاصة كتبه كما يعد من أكبر ما ألف في هذا المجال. فقد ألفه رداً على بافندر في كتابه "ميزان الحق" ونتيجة للمناظرة الكبرى التي جرت بينه وبين بافندر. يقوم هذا البحث بتقديم دراسة تحليلية لهذا الكتاب بغية رصد ما فيه من عناصر جديدة وفي المنهج من جدة. وقد توصل البحث إلى أن استفادة الشيخ رحمت الله بمنهج النقد الباطني للكتاب المقدس ساعده في تحقيق هدفه من تأليفه لكتاب إظهار الحق.

الكلمات المفتاحية: رحمت الله الكيرانوي، الهند، المناظرة، بافندر، التبشيرية.

ABSTRACT

Christian missionary campaign thrived in the nineteenth century in many parts of India. The missionaries confronted Indian Muslims on many fronts and challenged their faith. This campaign was accelerated following the fall and dissolution of the Islamic State of Mughal by the British colonial power in the nineteenth century. Many Muslim scholars responded to the Christian missionary campaigns, but the most prominent of all is Shaykh Rahmat Allāh al-Kayrānawī. He engaged in public debate with leading Christian evangelicals and authored several books in response to their allegations. His book, *Izhār al-Ḥaqq* (Truth Revealed), which he primarily

wrote in response to Karl Gottlieb Pfander's *Mīzān al-Ḥaqq* (The Balance of Truth) and as a report of the debate between him and Pfander, is one the best books written on Islamic apologetics. This paper examines analytically al-Kayrānawī's methodology and style of debate with Christian apologetics as exemplified in his book *Izhār al-Ḥaqq*. The paper reviewed the book's major arguments and identifies the novelty of its methodology and style of presentation. The paper found that al-Kayrānawī's awareness and adoption on many occasions of the methods and conclusions of Biblical criticism helped him achieve his goal behind the publication of his book *Izhār al-Ḥaqq*.

Keywords: *Raḥmat Allāh al-Kayrānawī, India, public debate, Pfander, Missionary.*

المقدمة

فقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا للعالمين وخاتما للنبيين والمرسلين، وجعل أكبر معجزاته القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وجعل دين الإسلام الذي أرسله به آخر الأديان الصحيحة، مصدقا لما بين يديه من الأديان السماوية ومهيما عليها. فانتشر هذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها.

ومع ذلك فما من زمان منذ بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا ويوجد من يناضل هذا الدين ويسعى للقضاء عليه ويجاهد لإطفاء نوره وينفق في سبيل ذلك ما قل أو كثير. فمعظم هذه المحاولات والحيل باءت ولا تزال تبوء بالفشل؛ لما يبعث الله في كل قرن من ينصر دينه ويقف ضد تلك الهجمات، وصدق الله سبحانه وتعالى إذ قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 36]، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: 8-9].

وهذا هو الذي حصل في القرن التاسع عشر الميلادي حين انتشر المنصرون في أرجاء الهند، يضلون أبناء المسلمين ويطعنون في عقيدتهم، فقام علماء أجلاء في الهند لصده هذه الهجمات ودحض أباطيلهم، وأكثر هؤلاء العلماء شهرة وتأثيرا هو الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني. فناظر جهابذة المنصرين جهارا وألف عدة كتب في رد أباطيلهم. وكتابه "إظهار الحق" يعتبر خلاصة كتبه كما يعبر من أكبر ما ألف في هذا المجال. وقد اعتمد عليه كثير من علماء المسلمين الذين كتبوا عن مقارنة الأديان. اعتمد عليه الشيخ محمد رشيد رضا في مواضع عدة في تفسير الآيات المتعلقة بالتحريف في التوراة والإنجيل (رضا 1990؛ 5: 114؛ 6: 238، 402؛ 9: 199، 239، 252-253، 279؛ 10: 284-285). ويكفي لمعرفة أهمية هذا الكتاب أن يثني عليه الداعية المسلم أحمد ديدات أن اكتشافه لهذا الكتاب كان أول خطوة في تغيير مجرى حياته

نحو الرد على المنصرين (ولد الدين 2011). وحينما وصلت لندن الترجمة الإنجليزية لهذا الكتاب اعترفت جريدة لندن تايمس بقولها: "لو اطلع الناس على هذا الكتاب فإنهم لن يقبلوا الدين النصراني. وبذلك يتوقف نشر الديانة النصرانية." ومنهجه في مقارنة الأديان ما زال يشغل اهتمام الباحثين المعاصرين (Khairuddin, Ismail & Awang, 2013).

يقوم هذا البحث بدراسة هذا الكتاب بغية رصد ما فيه من عناصر جديدة وفي المنهج من جدة. يبدأ البحث بالتعريف بالمؤلف وذكر مؤلفاته في مقاومة التنصير وهجرته إلى مكة بعد الثورة ضد الاستعمار الإنجليزي. بعد هذا يقدم البحث حالة الهند الدينية والتعريف ببافندر وكتابه "ميزان الحق" محاولة لإلقاء الضوء على أسباب تأليف "إظهار الحق". وأخيرا يعرض البحث بذكر منطلقات الشيخ رحمت الله ومنهجه في نقده للكتاب المقدس.

التعريف بالمؤلف

نسبه ودراسته

هو محمد رحمت الله بن خليل الله، المعروف بخليل الرحمن، الكيرانوي العثماني (Rahmat Allāh al-Kayrānawī). وروي أنه ينتهي نسبه عند الجد الرابع والثلاثين إلى ذي النورين عثمان بن عفان، رضي الله عنه. ولد الشيخ رحمت الله بنخي دربار كلان (أي: المجلس الكبير) في قرية كيرانة التابعة لمحافظة مظفر ناجار (Mazaffarnagar) من توابع دلهي (Delhi)، عاصمة الهند، في التاسع مارس سنة 1818م، الموافق غرة جمادي الأولى سنة 1233هـ. تزوج من ابنة خالته عام 1256هـ. وقد اشتهر أفراد الأسرة بالطب والمناصب العليا (ملكاوي 1992).

نشأ الشيخ في كنف أسرة واسعة الثراء والجاه. ففي السادسة من عمره بدأ تعليمه في بلده على يد والده وكبار أفراد العائلة المشهورين بالعلم والفضل والدين حسب النظام المتبع في ذلك العهد. وكان قد أتم حفظ القرآن الكريم في الثانية عشر من عمره، وأتقن اللغات الثلاث: العربية والفارسية والأردية. قرأ كتب الشريعة الإسلامية واللغة العربية على يد آبائه، ثم ارتحل إلى دلهي لطلب التعليم العالي، فالتحق بمدرسة الأستاذ محمد حياة، وسكن في مبنائها حتى أخذ حظاً وافراً من العلوم، ثم إلى لكهنؤ (Lucknow)، مدينة العلم والحضارة، فتتلمذ على المفتي سعد الله المراد آبادي (ت 1877م/1294هـ)، وتخصص في اللغة الفارسية على يد الشيخ إمام بنخش ألصهبائي الدهلوي (ت 1857م/1273هـ)، كما درس الطب على يد الطبيب البار محمد فيض، ودرس العلوم الرياضية والهندسية على يد الأستاذ صاحب "الغازنيمات" - في علم الكلام، وصاحب المؤلفات الرياضية الكثيرة (عبد الله الهندي 1996).

ولما ظهر نبوغه وتفوقه في العلوم الشرعية تصدى بمجالس التدريس والإفتاء. ولما ازداد إقبال الطلاب على دروسه أسس مدرسة شرعية في كرانه، وتخرج منها كبار المدرسين ومؤسسي المدارس في أرجاء الهند، منهم:

الشيخ عبد الوهاب الويلوري، مؤسس أول مدرسة إسلامية أرجاء الهند المسماة "الباقيات الصالحات". ولكن لازدياد النفوذ التنصيري في الهند اشتغل عن مواصلة التدريس فتفرغ للتأليف والرد على المنصرين (عبد الله الهندي 1996).

مؤلفاته في مقاومة التنصير

بدأ الشيخ رحمت الله بكتابة رسائل صغيرة وبالترجمة. فله رسالة وقت صلاة العصر، ورسالة في رفع اليدين في الصلاة، وله ترجمة التحفة الاثني العشرية إلى اللغة العربية (وهو كتاب في الرد على الروافض للعلامة شاه عبد العزيز بن أحمد عبد الرحيم الدهلوي).

وأما مؤلفاته في الرد على المنصرين والدفع عن الإسلام هي:

أ. **إزالة الأوهام:** هذا الكتب هو أول مؤلفات الشيخ رحمت الله لتنفيذ حجج المنصرين، وقد ألفه باللغة الفارسية ثم قام الشيخ نور محمد بترجمته إلى اللغة الأردية، وسمى الترجمة: دافع الأسقام.

ب. **إزالة الشكوك:** ألفه بالأردية للإجابة عن تسعة وعشرين سؤالاً أوردها المنصرون على علماء الإسلام، وتسمى "سؤالات الكرانجي"، وذلك لأنه ارتد أحد المسلمين في مدينة كراتشي، فكتب القساوسة تسعة وعشرين سؤالاً على لسان هذا المرتد معترضين بها على الإسلام. ولما علم بذلك ولي العهد مرزا فخر الدين أرسل إلى الشيخ رحمت الله ليجيب عليها، فامثل لأمره وأجاب عنها بمجلدين ضخمين سنة 1268هـ / 1852م.

ج. **الإعجاز العيسوي** (ويسمى "الإعجاز المسيحي" و "مصلحة التحريف": ألفه بالأردية في أكرا (أكرا باد) سنة 1270هـ، وقد أثبت فيه بالأدلة القاطعة نسخ الأناجيل وتحريفها.

د. **أحسن الأحاديث في إبطال التثليث:** فرغ من تأليفه بالأردية سنة 1271هـ لكن تم طبعه سنة 1292هـ، وقد أبطل فيه عقيدة التثليث بأدلة عقلية نقليّة.

هـ. **البروق اللامعة:** ألفه بالعربية. استدل فيه بأدلة من نصوص كتب العهدين وبياراتهما على أن محمدا صلي الله عليه وسلم مذكور في تلك الكتب أنه نبي وأنه خاتم الأنبياء، ولم يطبع هذا الكتاب وهو مفقود.

و. **معدل اعوجاج الميزان:** ألفه بالأردية للرد على النسخة الجديدة من كتاب "ميزان الحق" لبافندر Pfander؛ وذلك أن الشيخ آل حسن ألف كتابه "الاستفسار" للرد على طبعة "ميزان الحق" الأولى. ولما اطلع عليه بافندر غير مواضع كثيرة في كتابه "ميزان الحق" بالزيادة والحذف والتبديل. وبما أن نسخة الطبعة الثانية تغاير الطبعة الأولى في مواضع كثيرة كتب الشيخ رحمت الله هذا الكتاب للرد على "ميزان الحق" الجديد ولإظهار الفوارق بين الطبعتين، فسماه "معدل اعوجاج الميزان" ليدل اسمه على مضمونه، لكن لم يطبع هذا الكتاب لأنه نخب من الهند وضاع.

- ز. **تقليب المطاعن**: ألفه بالعربية للرد على كتاب القسيس اسمث المسمى "تحقيق الدين الحق". وكان مؤلفه قد طبعه في الهند سنة 1842م فرد عليه صاحب كتاب "الاستفسار"، فغير اسمث في كتابه المذكور — كما فعل بافندر في "ميزان الحق" — وطبعه في المرة الثانية سنة 1846م، فرد على هذه الطبعة الشيخ رحمت الله بكتابه "تقليب المطاعن". وهذا الكتاب لم يطبع أيضاً لأنه مفقود.
- وهذه الكتب الثلاثة الأخيرة قد نُحِبت في وقعة الهند وضاعت ولم تطبع، وإنما ذكر ذلك في الجزء الثاني من نسخة "إظهار الحق" المقروءة على المؤلف.
- ح. **معيار التحقيق**: ألفه للرد على كتاب "تحقيق الإيمان" للقسيس صفدر علي، ولم يطبع هذا الكتاب، ويظهر أنه مفقود أيضاً.
- هذه الكتب ألفها الشيخ رحمت الله في الهند. وألف في تركيا كتابين باللغة العربية هما: "التنبيهات في إثبات الاحتياج إلى البعثة والحشر"، و"إظهار الحق".
- ط. **التنبيهات في إثبات الاحتياج إلى البعثة والحشر**: ألف هذا الكتاب سنة 1281هـ في تركيا في الرد على الدهريين الذين ينكرون الحشر والقيامة. ألفه بالعربية ثم ترجم إلى اللغة التركية وعدة لغات أوروبية.
- ي. **إظهار الحق**: ألفه أيضاً باللغة العربية في تركيا سنة 1864م ويعتبر آخر مؤلفات الشيخ رحمت الله في الرد على النصارى، وهو حصائد نقده للنصرانية. والكتاب مترجمة إلى اللغات التركية (1877) والفرنسية (1880) والإنجليزية (1900) والأردية (1968) واللغات الأخرى التي ترجم إليها ميزان الحق للدكتور بافندر. وهذا الكتاب هو الذي بين يدي الدراسة.

اشتراكه في الثورة وهجرته إلى مكة ووفاته فيها

هذا وقد اشترك الشيخ رحمت الله في الثورة ضد الاستعمار الإنجليزي في الهند سنة 1874م/1274هـ. ولما أفلتت الثورة وأخذها الإنجليز بوحشية بالغة نصبوا أعمدة المشانق للعلماء وجعلوا مكافئة لمن يدهم على الشيخ رحمت الله. فلما لم يعثروا عليه صادروا أملاكه باعوها ب 1420 روبية، وحظروا بيع كتبه أو طبعها.

اضطر الشيخ رحمت الله بعد ذلك للهجرة من الهند متخفياً حتى وصل إلى مكة سنة 1862م/1278هـ. وفي مكة حصل على إجازة التدريس في المسجد الحرام وسجل اسمه في السجل الرسمي لعلماء الحرم مساعدة الشيخ أحمد بن زيني دحلان — إمام وخطيب المسجد الحرام آنذاك. وفي سنة 1285هـ أسس أول مدرسة في مكة والحجاز والتي سميت في سنة 1291هـ "المدرسة الصولتية" (نسبة إلى المرأة الهندية المتبرعة ببنائها واسمها "صولت النساء"). وبقي الشيخ مدرسا فيها إلى وفاته عام 1891/5/1م/1308/9/22هـ، ودفن في مقبرة مكة، رحمه الله.

أسباب تأليف "إظهار الحق"

حالة الهند الدينية والسياسية في القرن التاسع عشر

من المعلوم بين علماء الأديان أن في الهند ديانات كثيرة - بين عبادة الأصنام وتآليه مظاهر الطبيعة والحيوانات إلى عبادة الشهوات الجنسية - أشهرها البرهمية والبوذية (نسبة إلى براهما وبوذا). ومازال الحال هكذا حتى دخلها الإسلام حينما فتحت أطراف الهند الغربية الشمالية في أواخر القرن الأول الهجري بقيادة محمد بن القاسم الثقفي. ثم تتابعت حملات المسلمين العسكرية لفتح الهند، وكان أقوى الدول الإسلامية على الهند هي الدولة المغولية التي دامت أكثر من ثلاثة قرون إلى سنة 1857م/923هـ حين قضى عليها الاستعمار الإنجليزي وأنشأ شركة تسمى "شركة الهند الشرقية (East India Company) التي تعمل على نشر الدين النصراني (محمد سعيد 1977). ويذكر أن المعمدانين أنشئوا أول هيئة تنصيرية برتستانتينية سنة 1792م، ثم أسسوا جمعية لندن التبشيرية سنة 1795م وتعتبر هذه المؤسسات رسل الاستعمار الإنجليزي التي مكنت الإنجليز من إبادة الحكم المغولي واستيلاء الإنجليز التام على الهند سنة 1857م.

وقد اتبع الإنجليز في الهند خطة تعليمية سهلت مهمة المنصرين فيها: فقد استخدمت الكنيسة العلم والمدرسة للتنصير الجماعي؛ لأن مناطق كثيرة يصعب أن يدخلها الإنجيل بغير المدارس التنصيرية التي يبقى الطالب فيها تحت تأثير التعليم المسيحي مدة طويلة. والذي يدعو للعجب أن هذه المدارس والكليات كانت تدار بأموال الوقف الإسلامي، وسلب أوقاف المساجد التي كان ينفق من ريعها على الخدمات التعليمية لأبناء المسلمين، بل إن بعض المساجد حولت إلى كنائس بحكم الاستعمار الإنجليزي.

ويمكن جمع الطرق التي تأتي منه هجمات الإنجليز في ثلاثة جوانب:

- أ. بدأت الجمعيات التبشيرية هجمات على قلعة الإسلام متكئة على الحكومة الإنجليزية في الهند.
- ب. وجاء التيار الغربي بعلومه وثقافته يبهز عيون المسلمين ويجذب أنظارهم ويسيطر على أفكارهم في جميع مجالات الحياة - الثقافية والاقتصادية والسياسية.

- ج. ووجدت حركة طائفة الآريين من الهندوس مجالا فسيحا لبدأ هجومها على المسلمين من جديد بعد تخلصها من الحكم المسلمين الذين كانوا يحكمون الهند من زمن بعيد (محمد سعيد 1977).

وقد تنبه كثير من العلماء لهذه المؤامرات منهم الشيخ آل حسن والدكتور وزير خان وأشهرهم الشيخ رحمت الله، فألفوا كتباً علمية قيمة لمواجهة هجوم النصارى على الإسلام وناظروا القساوسة وجها لوجه. وأقوى ما ألف للرد على النصارى كتاب "إظهار الحق" للشيخ رحمت الله. فإن كان للجو الديني السائد أثر في تأليف هذا الكتاب فإن السبب المباشر في تأليفه هو المناظرة الكبرى التي جرت بين الشيخ رحمت الله والقسيس بافندر. وبما أن تبجحات بافندر وكتبه الشرسة (وأخطرها "ميزان الحق") سبب في الترتيب للمناظرة - كما سيأتي - لذلك لا بد من التعريف بابفندر وكتابه "ميزان الحق" ثم التعريف بمناظراته للمؤلف.

بافندر وكتابه "ميزان الحق"

كان الدكتور بافندر (Karl Gottlieb Pfander 1803-1865) مستشرقاً بروتستانياً ألمانياً. أرسلته كنيسة إنجلترا رئيساً للمنصرين في أرمينيا والهند ثم في تركيا. فحينما دخل الهند عام 1839 كرئيس للمنصرين أظهر نشاطاً كبيراً بحيث عده المنصرون ثالث أخطر منصر يدخل الهند، بعد المنصر اليسوعي بيروم كزافييه والمنصر هنري مارتين. تزعم بافندر الحملة التنصيرية داخل الهند بإلقاء المواعظ والخطب في الاجتماعات العامة والمآتم والأفراح الإسلامية والهندوسية والتهجم على العوائد غير النصرانية. درس اللغة العربية والفارسية والأردية، وكانت مهارته في اللغة الفارسية بالغة، كما شهد له بذلك خصمه الشيخ رحمت الله (الكيرانوي 1992، 2: 8). وكان يعتقد أن المسلمين في الهند سيعترفون حقيقة العهد الجديد وأفضليته حينما يقرؤونه بلغتهم الأم المحبوب لديهم، يعني الفارسية (Bennett 1996). وكان من نشاطه القيام بجولات كثيرة في مختلف أنحاء الهند يعقد خلالها الندوات ويلقي المحاضرات طاعنا في عقيدة الإسلام وداعيا إلى النصرانية، متحديا في ذلك علماء المسلمين علنا مثيرا للمجادلات الدينية معهم في الجرائد والمراسلات مع علماء المسلمين في الهند (Muir 1897, 33; Vander Werff, 41).

وقد كان بافندر من أجراً من كتب في الطعن على الإسلام ونبيه وقرآنه، فألف عدداً من المؤلفات الخطيرة، مترجمة إلى اللغات العربية والأردية والفارسية والتركية، للدفاع عن العقائد النصرانية وتشويه عقائد الإسلام. فمما ألف في هذا المجال: كتابه "إظهار الدين النصراني" و "مفتاح الحياة" (1843) و "مفتاح الأسرار" (1844) و "حل الإشكال" (1847) و "طريق الحياة" (1847) و "ميزان الحق" (1834). وقد قام بافندر بإعادة طبع الكتاب الأخير عدة مرات؛ فحذف وزاد وقدم وأخر وبدل كثيراً من المضامين في الطباعات الأخيرة نتيجة ردود علماء المسلمين عليه.

ويعتبر كتاب "ميزان الحق" (بافندر د.ت.) أخطر كتب بافندر (Muir, 1897, 20) بل اعتبره بعض الباحثين أخطر كتب المنصرين على الإطلاق (ملكاوي 1992). يقول الجزيري: "من أجل ذلك نظرت في كتب المبشرين القديمة والحديثة فوجدت أنها ترجع في معظمها إلى كتابين أحدهما كتاب ميزان الحق... ولعل هذا الكتاب هو الينبوع الذي منه يستسقي المبشرون مطاعنهم في الإسلام وثانيهما كتاب تذييل مقال في الإسلام... ولكنه لم يخرج عن مطاعن ميزان الحق قيد شعرة... فميزان الحق هو عمدتهم التي يعتمدون عليه في مطاعنهم وصاحبه هو زعيمهم الأول الذي فتح لهم طريق الطعن على الإسلام والمسلمين بجراً مدهشة." (الجزيري 2007) وقد عد إبراهيم خليل أحمد - القسيس المصري الذي أسلم - أخطر أربعة كتب للمنصرين وجعل أولها وأكثرها خطورة كتاب "ميزان الحق" (ملكاوي 1992).

هذا، وقد تحدي بافندر المسلمين على أن يردوا على كتابه "ميزان الحق" إن استطاعوا، وزعم أنه لا يمكن معارضته وأن علماء المسلمين عاجزين عن الرد على ما فيه من حقائق. هذا مما حفز الشيخ رحمت الله أن يدعو بافندر إلى المناظرة الجهرية. وكان الشيخ يرى أن الرد على كتاب "ميزان الحق" لا يكفي لإصلاح البلبلة التي قد أحدثته بافندر في المجتمعات الإسلامية وعقيدة العامة في الهند، بل لابد من الإجهار بالإصلاح حتى يفهمه

الحجة جهارا ويعريه ويفقده كل هذا الأثر في الأوساط الهندية. أشار بول (Powell) أن الشيخ رحمت الله زار بافندر في بيته في يناير عام 1854، ليدعوه إلى هذه المناظرة الجهرية، لكنه لم يجده. وكان بافندر لا يجذب المناظرة مع الشيخ رحمت الله - مع أنه قد كان يتحدى ويدعو العلماء إلى تلك المناظرة - لكن بعد عدة مراسلات بين الاثنين وافق بافندر على الدعوة (Powell, 1976, Nagina, 2011, 112)، فحصلت بينهما المناظرة. وبما أن هذه المناظرة هي السبب المباشر لتأليف كتاب "إظهار الحق" يحسن التعريف المختصر بها وبنائها.

المناظرة الكبرى

تعرف المناظرة التي جرت بين الشيخ رحمت الله وبافندر بالمناظرة الكبرى، وقبلها سبقت مناظرة بين الشيخ والقسيس كاي Kay، وهذه تعرف بالمناظرة الصغرى (محمد سعيد 1977). أرسل الشيخ رحمت الله تسع رسائل إلى الدكتور بافندر لترتيب المناظرة العلنية بينهما، واتفقا على أن تكون المحاضرة في خمسة موضوعات هي: النسخ، والتحريف، وألوهية المسيح والتثليث، إعجاز القرآن، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأن تكون المناظرة صباح يومي الاثنين والثلاثاء 10-11 إبريل 1854م/11-12 رجب 1270هـ، ومكان المحاضرة في خان عبد المسيح بحي أكبر آباد الواقع في مدينة أكر بالهند (Agra, India)، وأن يكون القسيس فرنج (Thomas Valpy French) مساعدا للقسيس بافندر ويكون الدكتور محمد وزير خان الأكبر أبادي مساعدا للشيخ رحمت الله. وكان الدكتور محمد وزير خان (Muhammad Wazir Khān) قد درس الطب في لندن فأتقن اللغتين الإنجليزية واليونانية، واطلع على المسيحية في مصادرها الأصلية وأقوال علمائها المحققين (Powell 1976; Bennett 1996).

ولقد كان لهذه المناظرة أهمية قصوى؛ لأن الشيخ رحمت الله قد اشترط لنفسه أمام الحاضرين أنه إذا لم يستطع الإجابة على أسئلة القسيس بافندر يلتزم بقبول الدين النصراني، وقد اشترط هذا الشرط نفسه بافندر إذ صرح بأنه إذا غلب في المناظرة يقبل دين الإسلام (محمد سعيد 1977؛ Powell 1976).

انعقدت الجلسة الأولى للمناظرة في موضوعي النسخ والتحريف، شهدها أعيان من المسلمين والمسيحيين والوثنيين، وزاد عدد الحضور في الجلسة الثانية لانتشار أخبار ما جرى في الجلسة الأولى. وكانت الغلبة في الجلستين للشيخ رحمت الله، ألزم بافندر فيها الحجة بوقوع التحريف في التوراة والإنجيل في سبع أو ثمانية مواضع وبوجود أربعين ألف موضع سماها بافندر سهو الكاتب واختلاف العبارة (رحمت الله الكيرانوي 1992، 2: 498-499). وبعد هذا اعترف بافندر بوقوع التحريف في الكتاب المقدس، لكن لم يعتبر هذا القدر القليل طاعنا في الكتاب المقدس (Powell 1976; Bennett 1996).

وقد أغضب المسيحيين والحكام الإنجليز هذا الاعتراف العلني الصريح، فعزم القسيس بافندر أن يغلق باب المناظرة في المسائل الثلاثة الباقية - ألوهية المسيح والتثليث، وإعجاز القرآن، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم - كي لا تتوالى الهزائم والنكسات له ولقومه (Powell 1976). وفي ذلك يقول الشيخ رحمت الله في مدخل كتابه "إظهار الحق" فظهرت الغلبة لنا بفضل الله في مسألي النسخ والتحريف اللتين كانتا من أدق المسائل

وأقدمها في زعم القسيس كما تدل عليه عبارته في كتاب حل الإشكال، فلما رأى ذلك سد باب المناظرة في المسائل الثلاث الباقية. " (رحمت الله الكيرانوي 1992، 1: 7).

ترك بافندر الهند بعد هذه الهزيمة وسافر إلى ألمانيا وسويسرا وبريطانيا، ثم اختارته الإرسالية الكنيسة في لندن منصرا في مقر الخلافة الإسلامية في القسطنطينية.

وقد اتصل بافندر بالسلطان عبد العزيز خان، وزور أخبار المناظرة، وزعم أن الغلبة فيها كانت له، ثم طلب من مسلمي تركيا الاقتداء بإخوانهم مسلمي الهند، حيث زعم أنهم تحولوا إلى النصرانية.

ولما علم السلطان عبد العزيز خان بوجود الشيخ رحمت الله في مكة استدعاه إلى دار الخلافة لينظر بافندر في تركيا ليتحقق من الأمر وحتى لا تؤثر إشاعات بافندر على أبناء المسلمين. ولما حل الشيخ ضيفا رسميا في قصر الخلافة وسمع بافندر بذلك فر هاربا من تركيا، ولم يترث لمقابلة الشيخ رحمت الله. فحينئذ طلب السلطان من الشيخ أن يقص خبر المناظرة، فلما استبان له طول باع الشيخ في هذه الموضوعات وتمكنه منها طلب منه تأليف كتاب باللغة العربية يضم مسائل المناظرة الخمس، فعقد الشيخ العزم على تأليف هذا الكتاب. وقد بدأ بتأليفه في الأستانة بتاريخ 16 رجب 1280 هـ أواخر (ديسمبر) كانون الأول 1863 م، وانتهي منه في أواخر ذي الحجة 1280 هـ حزيران (يونية) سنة 1864 م، كما بين ذلك الشيخ نفسه في آخر صفحة من هذا الكتاب (رحمت الله الكيرانوي 1992، 4: 1365). وسلم النسخة الأولى منه بخط يده العربي إلى رئيس الوزراء، خير الدين باشا التونسي، فقرأ في المقدمة أن تأليفه كان استجابة لرغبة الشيخ أحمد دحلان إمام المسجد الحرام بمكة، فراجع رئيس الوزراء بهذا الخصوص وأنه هو والسلطان طلبا منه ذلك ولم يذكرهما، لا للسمعة والرياء ولكن تقريرا للحق الواقع وإكراما لمركز الخلافة، فأجابه الشيخ رحمت الله بأن هذا غرض ديني سامي يجب أن يكون خالصا لوجه الله ولا يشوبه أي غرض دنيوي أو تزلف إلى سلطان، وأن الشيخ دحلان هو أول من اقترح عليه ذلك. فكان جوابه مقبولا، وارتفع في عين السلطان، وعرف أنه من طلاب الآخرة (ملكواي 1992).

عرض لكتاب إظهار الحق

محتويات كتاب "إظهار الحق"

شمل كتاب إظهار الحق أمهات المسائل المتنازع فيها بين المسلمين وأهل الكتاب، وهي: (1) إنكار أهل الكتاب بالتحريف في كتبهم، (2) ونسخها، (3) وإنكارهم لنبوّة محمد، (4) وإعجاز القرآن، (5) وقول النصارى بالتثليث وألوهية المسيح. والمسلمون يؤمنون بالمسائل الأربع الأولى وينكرون الخامس.

وعند الفريقين أن الإيمان بوحدة مما يجب إنكاره وإنكار واحدة مما يجب الإيمان به تخرج المعتقد بما عن دينه. ويكفي لهدم أصول دين النصارى أن يثبت واحدة من هذه المسائل الخمسة على حسب ما يعتقد المسلمون وعلي ما يعتقد النصارى فيها. فأثبت هذا الكتاب منها ما أثبتته الله ورسوله، ونفا منها ما نفاه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. وقد خصت كل مسألة منها بابا مستقلا، وزيد باب آخر للحديث عن كتب

العهدين وأسمائها وتعدادها وسندها وكتائبها وما يتعلق بذلك. وبذلك يكون الحديث عن كتب العهدين قد جاء في ثلاثة أبواب مستقلة هي نصف أبواب الكتاب.

أما الباب الرابع قد أثبت فيه الشيخ رحمت الله وحدانية الله تعالى وعلان عقيدة التثليث وألوهية المسيح بالأدلة العقلية والنقلية وبأقوال المسيح نفسه ورد على أدلة النصارى في هذه العقيدة. وأما الباب الخامس فقد خصصه للحديث عن إعجاز القرآن ورفع شبهات القسيسين عنه، وكذلك تحدث فيه عن الحديث النبوي الشريف وصحة ما في الكتب المعتمدة عند أهل السنة والجماعة، ورد الشبهات الواردة عليه. وتعرض في الباب السادس والأخير لإثبات نبوة محمد صلي الله عليه وسلم، وما ورد في حقه من بشارات في كتب العهدين. ثم ذكر جملة من معتقداتهم في الأنبياء ورد على مطاعنهم في نبوة محمد صلي الله عليه وسلم.

وكان ترتيب الكتاب موافقا لترتيب موضوعات المناظرة، فبدأ بالتحريف والنسخ (لكن قدم النسخ على التحريف في المناظرة) فالتثليث فإعجاز القرآن ثم ختمها بموضوع النبوة. ولا شك أن هذا هو أنسب ترتيب علمي متصل الحلقات في هذه الموضوعات الخمسة المهمة. فقدم موضوع التحريف على النسخ لأن الكتاب المحرف لا يبقى شك في أنه سينسخ بغيره، وإذا ثبت التحريف والنسخ ناسب أن يذكر بعدهما موضوع التثليث وألوهية المسيح؛ لأن النصارى يدعون أن أدلتهم على التثليث وألوهية المسيح هي الأدلة النقلية فقط من كتب العهدين. والكتاب إذا ثبت تحريفه ونسخه لا يصح الاحتجاج به في أبسط الأمور فضلا عن عقيدتي التثليث وألوهية المسيح. وإذا ثبت التحريف والنسخ وعلان عقيدتي التثليث وألوهية المسيح - وإنكارهما مدار إبطال نبوة محمد صلي الله عليه وسلم عندهم - ثبت أنه لم يبق لهم دليل ولا حجة في إنكار نبوة محمد صلي الله عليه وسلم. ولما كانت المعجزة دليلا من أدلة النبوة ناسب تقديم الحديث عن إعجاز القرآن قبل موضوع النبوة. هذا وقد أخذ بول (Powell) على المؤلف أنه لم يقرأ كتابا آخر عن النصارى ولم يزد شيئا في هذا الكتاب أكثر مما أورده في المناظرة، مع مضي حوالي عشر سنوات بين المناظرة وتأليف الكتاب (Powell 1976, 62). وفي الصفحات التالية عرض لأبواب وفصول الكتاب كما ورد في تحقيق الدكتور محمد أحمد ملكاوي للكتاب.

أدلة واضحة ونتائج علمية قاطعة

الناظر لكتاب إظهار الحق يجد الجدة والابتكار في المنهج والأسلوب والأدلة التي استخدمها المؤلف. فلم ينجح إلى الأدلة الغامضة والاستنباطات المعقدة، بل ساق أدلته بكل وضوح وسهولة في الاستنباط والترتيب، فجاءت كأنها نتائج رياضية علمية لا يختلف فيها الاثنان ولا يتناطح فيها الكبشان. وقد ابتعد في سرد أدلة الكتاب عن الفرعيات التي تكون عادة مثار جدل طويل، بل ركز على نقد العقائد الأساسية التي يكفي إبطال الواحدة منها لهدم الأصول التي يعتمد عليها الخصم.

ولا شك أن الشيخ رحمت الله قد استفاد كثيرا من مناهج النقد الباطني للكتاب المقدس (Textual Criticism) التي كانت تروج في القرن التاسع عشر الميلادي في داخل الكنائس الأوروبية نفسها. وقد استشهد

الشيخ رحمت الله بالنتائج التي تُؤصلت إليها ليثبت أن التحريف اللفظي بأقسامه الثلاثة – التحريف بالتبديل وبالزيادة وبالنقصان – وقع في الكتاب المقدس باعتراف جهابذة القسيسين أنفسهم. واستشهد أيضا بمنشورات أوروبيين أخرى ومن ضمنها موسوعة بريتانكا (Encyclopedia Britannica). وهدفه الأساسي في هذه الاستشهادات ليس ليرجح قولاً على آخر ولكن ليشير إلى وجود آراء متناقضة في أي نقطة من الكتاب المقدس (Powell 1976, 1993).

ويذكر أن اتصال الشيخ رحمت الله بهذه المصادر لم يكن اتصالاً مباشراً لكن بواسطة مساعده في المناظرة، الدكتور محمد وزير خان الذي درس الطب في إنجلترا واتصل بالبعثات التبشيرية هناك ودرس ثم جمع ما كتبه علماء الألمان في نقد الكاتب المقدس (Powell 1976). ويذكر أن بافندر – خصم الشيخ رحمت الله في المناظرة – لم يكن يعرف ولم يطلع على مثل تلك الدراسات النقدية ونتائجها (Powell 1976; Bennett 1996)، ولم يعلم أن علماء المسلمين قد اطلعوا عليها؛ فلذلك اندهش يوم المناظرة لما رأى مؤلفات هورن (Horne 1825) وستروس (Strauss 1846) أمام الدكتور محمد وزير خان. وظن أن الكنيسة الكاثوليكية التبشيرية هي التي زودت خصمه بهذه الكتب للنيل وللاستخفاف من تعاليم الكنيسة البروتستانتية، فمن ثم طلب من الكنيسة البروتستانتية التبشيرية بعد المناظرة أمثال هذه الكتب التي استفاد منها المسلمون (Powell 1976; Bennett 1996).

كتب العهدين تاريخ غث

كثير من العلماء يضعون التوراة والإنجيل والقرآن على قدم المساواة أثناء ردودهم. وهذا ما يريده المسيحيون خصوصاً، لأن يرتفع الكتاب المقدس بذلك إلى منزلة تكسبه الثقة والتقدير، علماً بأن أهل الكتاب لا يدعون أنها كلام الله بالفاظها ونصوصها. فأبان الشيخ رحمت الله في كتابه عن هذه الحقيقة التي يجب على المتعرض لهذا الموضوع اصطحابها والانتباه إليها. فإن كتب العهدين لا يعدو أن تكون روايات تاريخية مختلطة، والغث فيها كثير، ولا تصل بأي حال إلى مستوى أقل كتب السيرة شأنًا عند المسلمين، وأما ألقت في فترات زمنية مختلفة ومتباعدة. وفيها أقوال وأفعال منسوبة لغير واضعيها، بل قد يكون السفر منها بأكمله منسوبة لغير كاتبه. وعلي فرض صحته فالسند مفقود.

فحينما يعلق على التباين التام في أسماء وعدد أبناء بنيامين كما ورد في السفر الأول والثاني من أخبار الأيام لعزرا عليه السلام وفي سفر التكوين، مع دعوى اليهود أن عزرا هو الذي جمع التوراة والسفرين بعد ما أتلّفوا، يقول الشيخ رحمت الله: "فعلّم أن التوراة المشهورة ليست التوراة التي صنفها موسى ولا التي كتبها عزرا، بل الحق أنها مجموعة من الروايات والقصص المشتهرة بين اليهود، جمعها أحبارهم في هذا المجموع بلا تنقيح الروايات، وعلم من وقوع الغلط من الأنبياء الثلاثة (وهم عزرا، وحجي، وزكرياء) وأن الأنبياء كما أنهم ليسوا بمعصومين عن صدور

الكبائر عند أهل الكتاب فكذاك ليسوا بمعصومين عن الخطأ في التحرير والتبليغ." (رحمت الله الكيرانوي 1992، 1: 113-114). وفي مكان آخر بعد ما قدم محاولات علماء اليهود والنصارى في تحليل أقوال متناقضة وفشلهم في ذلك يقول الشيخ رحمت الله في ذلك: "والإنصاف أن هؤلاء معذورون لكون الكلام فاسدا من أصله ولنعم ما قيل : (لن يصلح العطار ما أفسد الدهر). ويقول أيضا في مكان آخر " فعلم أن هذه الكتب عندهم كانت في رتبة كتب التواريخ الأخر ، وما كانوا يعتقدون إلهيتها، وإلا لما خالفوا." (رحمت الله الكيرانوي 1992، 1: 113-114).

إثبات وقوع التحريف اللفظي بأنواعه الثلاثة

قسم الشيخ رحمت الله التحريف إلى ثلاثة أنواع: التحريف بالتبديل، والتحريف بالزيادة، والتحريف بالحذف، وكشف أخطاء كثيرة بين النسخ المختلفة زمنا ولغة. فنجد أنه يشير إلى النسخة العبرانية واليونانية والسامرية، أو الترجمة الإنجليزية والعربية والفارسية والأردية، وهذه القدرة على المقارنة بين النسخ والترجمات والطبعات القديمة والحديثة لكتب العهدين، وتقسيمه لما بينها من فوارق إلى اختلافات وأغلاط، واستشهاده على ذلك بمئات الشواهد، كل ذلك يدل على تمكنه التام في هذا الفن، وفي معرفته بكتب العهدين. بل إنه في بعض الأحيان يجيب على الاعتراضات التي يمكن أن يجاب بها على وجود هذه الاختلافات والأغلاط والتحريفات. ثم توصل إلى أن كتابا تقع فيه مثل هذه الاختلافات والأغلاط والتحريفات الزائدة والحذفية والتبديلية لا يمكن أن يطلق عليه أنه كتاب سماوي، ولا أن تكون كتابته بطريق الإلهام، وأن الاحتجاج به ساقط عن الاعتبار.

بين خطة الهجوم والدفاع

كثير من العلماء الذين يتعرضون للرد على المنصرين والمستشرقين يضعون دينهم موضع المتهم ويقفون موقف الدفاع عنه فقط، إلا أن الشيخ رحمت الله في كتابه إظهار الحق - وكذا وفي مناظرته - لم يكتف بموقف الدفاع عن العقائد الإسلامية، بل سلك مسلك الهجوم على الخصم وعقائده وأدلته وكتبه، وألجأ خصمه إلى موقف الدفاع بدل الهجوم. ولا يخفى ما في خطة الهجوم هذه من تأثير في أفكار الخصم وزلزلة لمعتقداته التي استعلى بها زمنا طويلا.

ولم يكتف الشيخ بخطة الهجوم فقط بل دافع بأدلة قاطعة عن العقائد الإسلامية، لكنه ركز على خطة الهجوم أكثر من خطة الدفاع. ويظهر هذا جليا في عرض أبواب الكتاب وفصوله وتقديم موضوعات الكتاب بعضها على بعض ثم عدد الصفحات التي ناقش فيها تاريخ الكتاب المقدس وتحريفه ونسخه وألوهية المسيح، التي هي أكثر من ثلثي الكتاب.

ومن الجدير بالذكر أنه لا تكفي في مناظرة أو دراسة لعقيدة الغير خطة الهجوم وحدها ولا خطة الدفاع وحدها؛ وإنما لابد من التسلح بكلتا الخطتين. وهذا ما فعله الشيخ رحمت الله في هذا الكتاب. فقد استفاد كثيرا بآراء علماء المسلمين القدامى في الدفاع عن عقيدة الإسلام وردودهم على عقيدة اليهود والنصارى، لكنه

لم يركن إلى ذلك فحسب، بل استفاد أيضا بآراء علماء النصارى المحدثين في النقد الباطني للكتاب المقدس؛ ولذلك كانت له الغلبة في مناظرته مع بافندر، وهذا أيضا سبب من أسباب فشل بافندر وهزيمته في المناظرة. فقد كانت معرفته بالإسلام أكثر من أقرانه في زمانه. فقد هاجم عقيدة الإسلام في عدد من مؤلفاته حتى اعتُبر كتابه **ميزان الحق** أخطر ما كتب في التنصير وضد عقيدة الإسلام، كما سبقت الإشارة إليه، لكن حدث كل هذا على حساب معرفته بالكتاب المقدس الذي يؤمن به؛ فإنه عاجز كل العجز عن الدفاع عن عقيدته لا سيما إذا كان النقد قد وجه أساسا من داخل الكنيسة نفسها (Powell 1976).

بين أسلوب التهكم والأسلوب الأدبي

القارئ لكتاب إظهار الحق يلاحظ أن الشيخ رحمت الله استعمل هذا الأسلوب في الرد على خصمه إذا اقتضى المقام ذلك أو إذا اضطر إلى ذلك. ومثال ذلك كثير في ثنايا الكتاب. فنراه حينما يعنف خصمه كيف يطعنون في كثرة أزواج محمد صلي الله عليه وسلم مع أنهم قد أثبتوا ما هو أشنه لأتبيائهم، يقول الشيخ رحمت الله معقبا: لعل منشأ هذه الأمور أن الله لما كان واحدا حقيقيا لا تكثر في ذاته بوجه من الوجوه عند أهل الإسلام فذاته المقدسة لا تسع أمرا غير مناسب، وعندهم لما كانت ذاته مشتملة على الأقانيم الثلاثة المتصف كل منهم بصفات الألوهية كلها، الممتاز كل منهم عن الآخر امتيازاً حقيقياً، تسع أمرا غير مناسب ... والثلاثة أكثر من الواحد، فعمل إلههم في زعمهم أقوى من إله المسلمين. وكذلك لما لم تكن العصمة من ذنب من الذنوب - حتى الشرك وعبادة العجل ... - شرطا للنبوّة عندهم، كانت ساحة النبوّة عندهم أوسع من ساحتها عند المسلمين. أو لعل منشأها أن يعقوب وداود وسليمان وعيسى لما كانوا أبناء الله فلهم أن يفعلوا في مملكة أبيهم ما يشاءون، بخلاف محمد صلي الله عليه وسلم فإنه لما كان عبد الله بن عبد الله لا يجوز له أن يفعل في مملكة ماله وبيده ما يشاء!! نعوذ بالله من التعصب الباطل والاعتساف ومن المكابرة وعدم الإنصاف (رحمت الله الكيرانوي 1992، 4: 1351-1352).

فلا شك أن في هذا التعريض تهكما للخصم في عقيدته مقارنة بالعقيدة الإسلامية. وفي مكان آخر نرى الشيخ رحمت الله حينما يرد على خصمه في دعواه أن مضامين القرآن قبيحة، أكد أن في القرآن مضامين قيمة وأنه ما من آية من آياته إلا وتشتمل على تلك المضامين العالية الشأن، جمعها في سبعة وثمانين مضمونا، مثل الصفات الكاملة لله تعالى والدعوة إلى توحيد الخالص وتنزيه الأنبياء عن الرذائل ومدح المؤمنين وغير ذلك ... ثم اعترف الشيخ رحمت الله أنه لا يوجد في القرآن بعض المضامين الموجود في كتابهم مثل أن النبي الفلاني زنى بابنته أو بزوجة الغير أو أنه ارتد كافرا وعبد الأصنام أو أن مريم أم والدته الله حقيقة ومثل أنه لا خلاص بدون الإيمان بالبابا ... ثم عقب على هذه المضامين الواردة في الكتاب المقدس بقوله: لعل هذه المضامين العالية التي نقلتها وأمثالها لو وجدوها في القرآن لاعترفوا بأنه كلام الله وقبلوه، لكنهم لما وجدوه خاليا عنها ومن أمثالها؛ فكيف يعترفون ويقبلون؟ لأن المضامين الحسنة المألوفة عندهم هي هذه المضامين وأمثالها، لا المضامين التي ذكرت في القرآن الإنصاف (رحمت الله الكيرانوي 1992، 3: 849).

فالعقل السليم يقطع على رذيلة تلك المضامين الواردة في الكتاب المقدس، لكن سماها المؤلف "مضامين عالية" تهكما.

ومع أن الشيخ رحمت الله يسلك مسلك التهكمي في بعض الحالات فإنه تعهد أنه لا يتعرض لعرض خصمه وسبه والتفوه بألفاظ نابية تجاهه، وإن قال هذا الخصم مثل هذه الألفاظ في حق علماء الإسلام الإنصاف (رحمت الله الكيرانوي 1992، 1: 86). ولذلك أبي على صاحب "الاستبشار" استعماله لمثل هذه الألفاظ تجاه القسيس بافندر (رحمت الله الكيرانوي 1992، 1: 76). وقد صرح بذلك في مقدمة الكتاب حيث قال: "إني إن شاء الله لا أذكر عمدا لفظا يوازن لفظا من ألفاظ مقتداهم في حق علماء المسيحيين، لكن لو صدر من غير العمد لفظ لا يكون مناسبا لشأنهم في زعمهم، أرجو المسامحة والدعاء." (رحمت الله الكيرانوي 1992، 1: 19).

المنهج الإلزامي الجدي

أثبت الشيخ رحمت الله في كتابه إظهار الحق تحريف كتب العهدين ونسخها ونبوته محمد صلي الله عليه وسلم وبطلان عقيدتي التثليث وألوهية المسيح، دون أن يخرج عن المعتمد عند أهل الكتاب من أسفارهم ومن أقوال كبار علمائهم ومحققينهم ومفسريهم. ولم يمتح إلى الاستدلال بالقرآن والسنة النبوية والأدلة العقلية إلا في مواضع محددة أو عند اقتضاء ضرورة الكلام؛ وذلك لأن أهل الكتاب ينكرون القرآن والسنة، فلا ينفع معهم الاستدلال بهما عليهم.

وأما الأدلة العقلية فهي معطلة عندهم في مقابل النصوص المحرفة، بل صرح كثير من علمائهم أنه يتوجب على من يريد قراءة كتب العهدين أن يلغي عقله أولا، لذا تسليح الشيخ بسلاحهم وغاص في بطون كتبهم فاستخرج مما فيها بطلان ما فيها، وأثبت تحريفها ونسخها بنفس آياتها، كما أثبت وحدانية الله تعالى ونبوته محمد صلي الله عليه وسلم بنفس آيات أسفارها التي حرفت قصدا لإنكارها.

ولذا سلك الشيخ رحمت الله في الاستدلال بالمنهج الإلزامي، بحيث يورد ما يعتقد الخصم ثم يأتي بما يرد عليه فيما يعتقد الخصم أيضا ليبين له أن الخلل في عقيدته والتناقض في نصوص كتابه المقدس وإن لم يتفطن إلى ذلك أو غض الطرف عنه متعمدا.

فحينما يؤكد أن النسخ جائز عقلا وواقع فعلا في الكتاب المقدس استشهد بقول عيسى عليه السلام للحواريين حين أرسلهم فقال: "إني طريق أمم لا تمضوا وإني مدينة للسامريين لا تدخلوا"، وقوله "لم أرسل إلا إلى خروف بني إسرائيل الضالة"، فنهى عيسى عن دعوة أمم أخرى والسامريين، وخصص رسالته ببني إسرائيل، ثم قال وقت العروج إلى السماء: "اذهبوا إلى العالم أجمع واركبوا بالإنجيل للخليقة كلها"، فأمر بدعوة جميع العالم وعمم رسالته فنسخ حكمه الأول (رحمت الله الكيرانوي 1992، 1: 48).

والشيخ رحمت الله حينما يستدل بهذه النصوص أن الأول نسخ الثاني، فهو لا يؤمن بعموم رسالة عيسى عليه السلام بل إلى بني إسرائيل فقط لقوله تعالى: "ورسولا إلى بني إسرائيل" (سورة آل عمران: 49) وقوله "وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم" (سورة الصف: 6)، ولكن يريد فقط لبيان وقوع النسخ في كتابهم، فإذا ثبت هذا جاز أن تنسخ شريعتهم بشريعة الإسلام.

وأكثر أدلة كتاب إظهار الحق من هذا القبيل، بحيث يبقى ملتزما بنصوص العهد القديم والعهد الجديد وأقوال جهابذتهم وإن كانت النصوص القرآنية على خلاف ذلك.

حتى المطعونات الموجهة ضد الإسلام فإنه في ردها لا يجنح إلى ما يعتقد المسلمون في ذلك، بل يبقى في دائرة نصوص كتابهم مستدلا بما يؤمنون به على خلاف ما يؤمنون به وعلي رد مطعوناتهم على الإسلام. وغالبا ما يكون عقيدة الإسلام التي يدين بها المؤلف مخالفا لهذه الأدلة، لكن أثر المؤلف أن يلزمهم الحجة بما لا سبيل لهم في ردها.

فمثلا حينما يرد على زعمهم أن محمدا صلي الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم لم يأت بمعجزة، أجاب: "أن صدور المعجزة ليس من شروط النبوة على حكم هذا الإنجيل المتعارف، فعدم صدورها لا يدل على عدم النبوة" (رحمت الله الكيرانوي 1992، 4: 1307). هذا مع أنه يؤمن لإمانا جازما أن المعجزة من شروط النبوة وأن محمدا أتى بمعجزات كثيرة بالإضافة إلى القرآن، بل وقد عقد فصلا خاصا في ذكر معجزات الرسول صلي الله عليه وسلم.

وقد نبه المؤلف على هذه القاعدة في مقدمة الكتاب أنه لا يدين بما يستدل به وأن كلامه بطريق الإلزام والجدل فقط، فإن رآه الناظر مخالفا لمذهب أهل الإسلام فلا يقع في الشك (رحمت الله الكيرانوي 1992، 1: 9). ويقول في مكان آخر: "واعلم أن ما كتبت في هذا الأمر الخامس كتبتة إلزاما، وإلا فياني أتبرأ من أمثال هذه التقريرات ولا أعتقد أمرا منها في حق عيسى عليه السلام ولا في حق حواربه الأجداد كما صرحت في مقدمة الكتاب" (رحمت الله الكيرانوي 1992، 2: 1348). ويعتذر من نقل هذه المقولات في مكان آخر فيقول: "أعاذنا الله من أمثال هذه الاعتقادات السوء في حق الأنبياء عليهم السلام، ولا يؤاخذني على ما نقلت هذه المزخرفات على سبيل الإلزام، والله ثم بالله لا أعتقد في حق الأنبياء هذه الكذبات، وهم بريؤون منها" (رحمت الله الكيرانوي 1992، 3: 838).

معايير الترجيح

فإذا كان الشيخ في كتابه إظهار الحق يعتمد أساسا على نصوص العهدين القديم والجديد في النقد الباطني لهذه النصوص، فإنه له معايير أخرى للترجيح بين نصوص متعارضة خارج هذه النصوص إذا اقتضى المقام ذلك. فنذكر منها ما يلي:

– القرآن

سبق أن قلنا أن الشيخ رحمت الله لا يستشهد بالقرآن إلا إذا اقتضى المقام ذلك، وذلك إذا استعصى عليه الأمر ولم يتبين له الصحيح من الأقوال المتناقضة، فحينئذ يلجأ إلى القرآن أو السنة النبوية الصحيحة ليكون المعيار في ترجيح قول على آخر. ومثال ذلك ما جاء في التوراة في مواضع عديدة أن الأبناء تؤخذ بذنوب الآباء إلى ثلاثة أجيال وأربعة أجيال، بينما وقع في مكان آخر أن الآباء لا تؤخذ بذنوب الأبناء ولا الأبناء بذنوب الآباء، ثم رجح الشيخ الرأي الثاني، أي أن أحدا لا يؤخذ بذنوب غيره؛ لأنه يتفق مع قوله تعالى: "ولا تزر وازرة وزر أخرى" (رحمت الله الكيراني 1992، 1: 114). هذه الآية وردت في السور التالية: الأنعام: 164، والإسراء: 15، وفاطر: 18، والزمر: 7؛ وفي النجم: 38 هكذا "أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفي ألا تزر وازرة وزر أخرى". ولعل الشيخ يريد أن يستدل بهذه الآية الأخيرة لأنها صريحة أنها في التوراة. وعلى أي حال، فإنها والتي استشهد بها المؤلف تؤدي نفس المعنى.

– العمران البشري

وقد يستعين الشيخ رحمت الله في ترجيح قول على آخر بعلم العمران الذي طوره ابن خلدون في القرن الثامن الهجري. وهو كما بينه ابن خلدون أن يتوافق الخبر المروي بالعمران البشري: وهو مجموع قوانين الحياة الاجتماعية والبيئية والسياسية والاقتصادية والطبيعية ... السائدة يوم حدوث الخبر. فإن اختلف قانون من هذه القوانين بما يتفق عقليا بالخبر المروي فلا يثبت هذا الخبر ولا ينظر إليه مهما له من سند متصل (ابن خلدون 1: 9-11، 35-38). ومثال ذلك – كما أورده الشيخ رحمت الله – ما ورد في سفر العدد أن عدد بني إسرائيل من الرجال القادرين على القتال حينما خرجوا من مصر كان أكثر من ست مائة وثلاث ألفا وخمسة وخمسين رجلا (603,055). هذا ويرى الشيخ رحمت الله أن هذا العدد إذا أضيف إلى العدد غير الصالحين للحروب من النساء والولدان (دون العشرين من العمر) وغيرهم من المتروكين يؤدي إلى أن المجموع الكلي لعدد بني إسرائيل لا أقل من مليونين ونصف (2,500,000) حينئذ. يؤكد الشيخ رحمت الله أن هذا العدد يستحيل وجوده في ذلك الوقت لبني إسرائيل لتناقضه مع العقل وظروف الحال يومها، لأن عددهم من الذكور والإناث حينما دخلوا مصر كان سبعين ومدة إقامتهم فيها كانت مائتين وخمس عشر سنة (215)، هذا يبعد أن يبلغ عددهم ذلك الكم الغفير الذي ورد في سفر العدد. وفي ذلك يقول:

"لا بد أن يكون عند ملك مصر عسكر مهياً موجود أزيد من سبعمائة ألف في كل وقت ليرجع البغاة الذين عدد شجعانهم ومحاربيهم أزيد من ستمائة ألف، ولا يوجد العسكر المهياً الموجود في دار الخلافة بمقدار سبعمائة ألف عسكري عند سلطان من السلاطين العظام فضلا عن ملك مصر. فالحق أن كثرة بني إسرائيل كانت بالقدر الذي يمكن في مدة مائتين وخمس عشر سنة، وكان سلطان

مصر قادرا عليهم أن يظلم بأي وجه شاء، وكان الأمر اللساني الصادر عن موسى عليه السلام كافيا لارتحالهم كل يوم، وكان يكفي حوالي طور سيناء وحوالي ايليم لنزولهم مع دوابهم..."
(رحمت الله الكيرانوي 1992، 1: 127).

فكل هذا يستحيل عقلا وظروف الحال في ذلك الوقت، فمن ثم لا يثبت هذا العدد كما ورد في سفر العدد.

-العقل البديهي

وقد يكون عامل الترجيح هو مجرد العقل البديهي بحيث يكتشف استحالة الخبر من له أدنى عقل. ومثال ذلك ما جاء في أخبار الأيام في النسخة العبرانية: "أخزيه صار سلطانا وكان بن اثنتين وأربعين سنة"، فرد الشيخ هذا الخبر بأنه غلط يقينا؛ لأن أباه يهورام حين موته كان ابن أربعين سنة، فلو صح هذا يلزم أن يكون أخزيه أكبر من أبيه يهورام بستتين (رحمت الله الكيرانوي 1992، 1: 127). فلا شك أنه يستحيل عقلا أن يساوي الإنسان أباه في العمر، فكيف إذا كان أكبر منه بستتين كما ورد في أخبار الأيام؟! فلاشك أنه غلط.

الختاتمة

بعد هذا العرض أدركنا أن الكتاب المقدس كما عرضه الشيخ رحمت الله لا يعدوا من أضغاث أحلام. فقد قرأ المؤلف وغاص في بطون نصوص العهد القديم والعهد الجديد، واستدل بهذه النصوص على بطلان العقيدة النصرانية. فقد أثبت وقوع النسخ والتحريف في هذه النصوص واستخرج أقوالا متناقضة لا يعقل أن تصدر أمثالها عن عاقل فضلا عن نبي أو الله سبحانه وتعالى، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وأكد المؤلف وحدانية الله تعالى وبطلان عقيدة التثليث، كما أثبت إعجاز القرآن ونبوة محمد صلي الله عليه وسلم. استطاع المؤلف أن يحتج على هذه القضايا الكبرى الخمس بنفس نصوص الكتاب المقدس؛ فحينئذ ترك للخصم خيارين لا ثالث لهما: إما أن لا يعترف بالأساس الذي بني عليه المؤلف دعواه، بأن لا يؤمن بهذه النصوص أصلا، فحينئذ يُعفى عن اللوم ولا يُوجه إليه النقد، بل لا ينفع معه الاستدلال لأنه حينئذ صار ملحدا. وإما أن يعترف به، فحينئذ يلزمه الحجة. أما أن يعترف بالمقدمة ويرد النتيجة اللازمة فهو عناد وعمي وضلالة، وهذا شأن خصم المؤلف.

ومن المؤكد أن استفادة الشيخ بمناهج النقد الباطني للكتاب المقدس التي كانت تروج في القرن التاسع عشر الميلادي ثم بالنتائج التي تُوصلت إليها بناء على تلك المناهج، ساعدته كثيرا في تحقيق هدفه من الكتاب. هذا بالإضافة إلى ما أضافه المؤلف نفسه من إبداع علمية ونتائج محققة لم تكن تخطر على بال جهازة القسيسين والمنصرين أنفسهم. ومن هنا فبدلا من أن يقف المؤلف موقف الدفاع، كعادة معظم علماء المسلمين في الرد على النصارى، وقف موقف الهجوم وألجأ خصمه إلى موقف الدفاع بدل الهجوم، ولا يخفى ما في خطة الهجوم من تأثير في أفكار الخصم وزلزلة لمعتقداته. ويستفاد من هذا أن خطة الدفاع وحدها لا تكفي كما لا تكفي خطة

المهجوم وحدها، بل لابد من التسلح بالخطتين معا في مواجهة الخصم. وهذا عين ما فعله الشيخ رحمت الله في هذا الكتاب. ومن المؤكد أن هذا الكتاب لا يستغني عنه أي باحث في هذا المجال. جزا الله مؤلفه خيرا.

المراجع

- ابن خلدون، عبد الرحمن. د.ت. مقدمة ابن خلدون. بيروت: دار الفكر.
- بافندر. د.ت. ميزان الحق. سويسرا: دار الهداية.
- الجزيري، عبد الرحمن. 2007. أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين. باريس: منشورات أسمار.
- رضا، رشيد. 1990. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- عبد الله الهندي، السيد. 1996. ، وقائع المناظرة التي جرت بين الشيخ رحمة الله والقسيس فندر الإنكليزي، ترجمه إلى اللغة العربية رفاعي الخولي الكاتب. بيروت: دار البشائر الإسلامية.
- الكيرانوي، رحمت الله. 1992. إظهار الحق، تحقيق محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي. القاهرة: دار الحديث.
- محمد سعيد، محمد سليم بن. 1977. أكبر مجاهد في التاريخ: الشيخ رحمت الله 1818م-1891م، ترجمه إلى اللغة العربية: أحمد حجازي السقا. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.
- ملكاوي، أحمد محمد عبد القادر خليل. 1992. "مقدمة المحقق" لكتاب إظهار الحق (1-124). القاهرة: دار الحديث.
- ولد الدين، أحمد فال. 2011. "أحمد ديدات حجة الإسلام الإنجليزية"، 17-12-2011
<http://www.aljazeera.net/home/print/f6451603-4dff-4ca1-9c10-122741d17432/1114edf9-3959-40f4-89e9-972c0a7aa1be>
- Bennett, Clinton. 1996. "The Legacy of Karl Gottlieb Pfander," *International Bulletin of Missionary Research*, 20:2, 76-81.
- Horne, T. H. 1825. *An Introduction to the Critical Study and Knowledge of the Holy Scriptures*. New York: E. Littell.
- Muir, William. 1897. *The Mohammedan Controversy, Biographies of Mohammed, Sprenger on Tradition, the Indian Liturgy and the Psalte*. Edinburgh: T. & T. Clark.
- Nagina BI. 2011. "The impact of British Christian missionaries on Indian religious, social and cultural life between 1800 and 1857 with particular reference to the role of missionaries in the events leading up to the 1857 Mutiny." M.A. Thesis, University of Bradford.

- Powell, A. A. 1976. "Maulānā Raḥmat Allāh Kairānawī and Muslim-Christian Controversy in India in the Mid-19th Century," *The Journal of the Royal Asiatic Society*, 1, 42-63.
- Powell, A. A. 1993. *Muslims and Missionaries in Pre-Mutiny India*. Richmond, Surrey: Curzon Press.
- Strauss, D. F. 1846. *The Life of Jesus, Critically Examined*. 4 vols. Birmingham [A translation from the German, *Das Leben Jesu*, published in 1836]. London: Chapman, brothers.
- Vander Werff, Lyle L. 1977. *Christian Mission to Muslims: The Record: Anglican and Reformed Approaches in India and the Near East, 1800-1938*. California: William Carey Library.
- Khairuddin, W. H., Ismail, I., & Awang, J. 2013. "Critical Thinking of Rahmatullah al-Kairanawi in Religionswissenschaft," *ISLĀMIYYĀT*, 35:1, 57-63.

الأستاذ الدكتور عبد الكبير حسين صالح

قسم الدراسات الإسلامية والمسيحية ومقارنة الأديان

معهد العلوم الإنسانية والإدارية والاجتماعية

جامعة ولاية كوارا، نيجيريا

Prof. Dr. Abdul Kabir Hussain Solihu
Department of Islamic, Christian, and Comparative Religious Studies,
College of Humanities, Management and Social Sciences,
Kwara State University, Malete,
P.M.B 1530, Ilorin,
Kwara State, Nigeria.
Email: abdulkabir.solihu@kwasu.edu.ng